Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو نسبنا إلى الكذب فى استعمال المجاز ؟ وما العمل إذن إذا كان العماء مقصودا ، أو هو لحظة الصدق التى انبثق عنها التعبير ؟ أو ليس « العماء » هو الحالة الإنسانية الأولى ، هو الأصل الذى عاش فيه الخيال حالة من « الوضوح » لم تتحقق له من بعد ، حين كان هو والحقيقة على وفاق مطلق ؟ ومع هذا فإننا لا ندعو إلى علاقة سريالية ، سرها فى لاشعور الشاعر ، ونوافق على القول بأن العلاقة جزء من صميم طبيعة التعبير المجازى باعتبار أن كل صورة لا تخلق شيئا من جديد فحسب ، بل تخلقه فى سياق التجربة ، ومن ثم فهو جزء من علاقة[٢٤] .

ومن المؤسف حقًّا أن هذا المنحى الفلسفى الذى ينظر إلى الأشياء نظرة كلية ، أو على الأقل نظرة علائقية غير معزولة ، لم يكن فى اعتبار منظرى البلاغة العربية ، وكان احتدام الجدل فى هذه النقطة متأثرا بالمقابلة البازغة بين المجاز والحقيقة ، فإن التقابل بينهما يربط المجاز بالكذب ، الذى يقابل الحقيقة أيضا ، « فكانت القرينة أشبه بالاستدراك عليه لدفع ما يداخل الكلام المجازى منه . وقد فرقوا بين الكذب والمجاز بالتأويل وهو إرادة خلاف الظاهر ، وينصب القرينة على أن الظاهر الذى هو المعنى الحقيقى غير مراد ، فالمتجوز مؤول لكلامه وناصب لقرينة تدل على أن الظاهر غير مراد له ، بخلاف الكاذب فإنه يدعى الظاهر ويريده »[٢٥] ، وحيث لانجد قرينة كما فى بيتى المتنبى السالفى الذكر ، فهنا يقفز مصطلح يملأ فراغ القرينة حين نفتقدها ، وهو « التأويل » كما فى المجاز المرسل الذى تطارده أيضا شبهة الكذب ، كما فى « واسأل القرية » إذ لولا التأويل ونصب القرينة لكان كذبه أظهر من أن يخفى »[٢٦] وقد كان هذا الجزء من الآية موضع كلام كثير من النحاة والبلاغيين ، فهناك من يقول : إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل فى القرية كما كان عاملا فى الأهل لو كان هاهنا ، ومسوغ هذا الحذف كثرة الاستعمال .

أما الذين تأثروا بفكر المعتزلة ولم يتحرجوا من القول بالتأويل فقد رأوا فى هذا الإسناد نوعا من التصوير أو هو بمنزلة التصوير ، وأطلقوا عليه « التمثيل » وهو ما يقصد به كشف المعانى وتوضيحها[٢٧] . وإذا كانت الإشارة إلى كثرة الاستعمال تذكر كمسوغ فقد بطل المجاز أيضا ،

---

(٢٤) C. Day Lewis. The Poetic Image. P. 23 — 25.

(٢٥) لطفى عبد البديع : فلسفة المجاز ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢٦) السابق ص ١٦٢ .

(٢٧) محمد بدرى عبد الجليل : المجاز وأثره فى الدرس اللغوى ص ٤٤ — ٥٠